بيد ان هذه السياسة، القائمة على غموض المركز النووي، قد تؤدي الى نتيجة عكسية. فهذه السياسة قد لا تؤدي الى اليأس والاستسلام والقبول بشروط الخصم، بل قد تؤدي الى الثقة بتحقيق الاهداف الوطنية والقومية العربية، والى الاصرار على هذا التحقيق، والى رفض الشروط المهينة.

ان الشكّ الذي قد تولّده هذه السياسة ليس من شأنه ان يؤدي، بالضرورة، الى اليأس والاستسلام والخوف والقبول. فردّاً على هذا الشكّ، من المحتمل ان ينشأ لدى الطرف الآخر، الطرف العربي، ذي الدول والاتجاهات والمنظمات والمدارس الفكرية السياسية المختلفة، الميل الى التعامل مع ذلك الشكّ بمنطقه، وان يتجلّى هذا التعامل في القرار العربي المحلي، أو العام، بأن ينهجوا النهج النووي.

ذلك يبيّن انه بدلاً من ان تكون سياسة غموض المركز النووي عامل تخويف للعرب، كما تتوخّاه اسرائيل، قد تصبح عامل تحفيز للعرب على السير على الطريق النووي.

سياسة الغموض والحافز النووي العربي

وثمّة هدف آخر لهذه السياسة وهو تخفيف حافز الدول العربية على حيازة الاسلحة النووية. ان الحافز موجود؛ وقد أوجدته المعرفة اليقينية، تقريباً، بأن اسرائيل تحوز على أسلحة نووية؛ وقد أوجده، أيضاً، العداء بين العالم العربي واسرائيل والعدوان الاسرائيلي على الشعب الفلسطيني، وشعوب عربية أخرى.

وسيكون ذلك الحافز، أو المحرّك، أكبر، اذا أعلنت اسرائيل عن انها تمتلك أسلحة نووية، واذا عرضتْها متباهية ومتحدّية للاحساس العربي. ويمكن للمرء ان يتوقّع ان يعقب اعلان اسرائيل عن حيازة اسلحة نووية زيادة النشاطات العربية في المجال النووي. وممّا يؤكد وجود هذه العلاقة ما ورد في مقابلة أُجريت مع الرئيس السوري، حافظ الاسد، في كانون الثاني (يناير) ١٩٨٧. في تلك المقابلة، بعد ان اعترف الرئيس السوري بأن مصادر مرتفعة المكانة تؤكد ان لدى اسرائيل القدرة على صناعة قنبلة نووية، قال ان ذلك «يحفزنا، طبعاً، على التفكير بلغة فنيّة في مواجهة هذا التهديد»[١٢].

وممّا له صلة هامّة بهذا الموضوع ما كتبه وليام بوتر: «غالبية عقبات الانتشار [النووي] في الحالة الاسرائيلية تنطبق على الامتلاك المكشوف للاسلحة النووية، وليس على خيار نووي غامض، والرئيسة منها أخطار تحفيز خصوم اقليميين على تطوير قواتهم النووية الخاصة بهم»[١٣].

ورأى البعض ان ثمّة علاقة بين سياسة الغموض النووي التي تتّبعها اسرائيل وهجومها على المفاعل النووي العراقي في العام ١٩٨١. فقد أعرب غاري ميلهولين عن هذا الرأي بأن الحفاظ على الغموض النووي لعلّه كان السبب الحقيقي لهجوم اسرائيل على هذا المفاعل، وفي ان العراق لم يكن يهدّد وضع اسرائيل العسكري كما كان يهدّد قدرة اسرائيل على ان تبقى «غامضة». ورأى ميلهولين ان تحقيق العراق للغموض النووي كان من شأنه ان يتطلّب ان تجرب اسرائيل الاسلحة النووية، من اجل الابقاء على ميزتها في ان تبقى الدولة النووية الوحيدة في الشرق الاوسط[١٤].

الردع بواسطة الشكّ

ومن طريق اتباع سياسة الغموض النووي المحسوب، والمتعمّد، ترمي اسرائيل الى تحقيق ردع للعرب من خلال زرع الشكّ. وتقوم هذه السياسة على الافتراض ان درجة من الشكّ، في ما